العرب
الجمعة 2020/09/25
السنة 43 العدد 11831

لا أحد يقرأ الكتب النقدية

مبدعون يكشفون أسباب تراجع النقد في الساحة الأدبية المصرية

لا يمكن إنكار الدور الكبير للنقد في تطوير الإبداع. فمن خلال النقد تأسست مدارس فنية وأدبية جديدة في كل مرة، ومعها تجدد الإبداع. لكن النقد اليوم، وخاصة الأدبي منه، شهد تراجعا في الكم والقيمة، حيث صار متراوحا بين السطحية والغياب عن مواكبة الجديد. في هذا التحقيق لـ"العرب" نتعرف على المشهد من زواياه المختلفة عبر قراءات المبدعين له.

محمد الحمامصي
كاتب مصري

يبدو المشهد النقدي المصري محبطا وبائسا أمام الزخم الإبداعي المتدفق والمتوهج شعرا وسردا ومسرحا، فهذا الزخم لا يجد متابعة حقيقية تضيء تجلياته الفنية والأسلوبية والدلالية للقارئ والمبدع على حد سواء.

الأسباب التي تكمن وراء بؤس المشهد النقدي كثيرة من وجهة نظر ورأي المبدعين، وتتوزع ما بين تدني مستوى التعليم وسطحية ومدرسية الأكاديميين وتردي أدواتهم النقدية، وافتقاد وزارة الثقافة لأي آلية تدعم الحراك النقدي.

أزمة قراءة

بداية يرى الشاعر والروائي علي عطا أن الحركة النقدية ترتبط بالقراءة. يقول "أتحدث هنا عن نقد الأدب تحديدا، وأرى أن ما ينشر من أدبٍ، سردا وشعرا، لا يجد ما يوازيه قراءةً، سواء في مستواها العام، أو في مستواها المتخصص، وبالتالي نعاني من عدم مواكبة النقد للإبداع الأدبي على نحو متكافئ، سواء في السياق الأكاديمي، أو في سياق الصحافة الثقافية، التي باتت فاعليتها في انحسار مطّرد، ليس لانحسار الصحف الورقية، بل لوضعها في درجة أدنى من الأهمية مقارنة بالصحافة السياسية أو الرياضية أو الفنية، سواء في الصحف أو في الإذاعة والتلفزيون".

ويوضح القاص ناصر الحلواني أن جوهر النقد بيان الجيد والرديء، وإظهار السمات الجمالية والفنية العامة –سواء في السرد أو في الشعر– والسمات الشخصية الإبداعية الخاصة بالكاتب، فدوره تنويري لكل من القارئ المثقف والمبدع.

ويؤكد أن ما يفصح عنه المشهد النقدي الآن يقول غير ذلك؛ فالنقاد قلة، وغالبا الناقد صحافي أو قاص أو شاعر، يضع نصا نقديا لا يتبع قواعد النقد المعروفة، بل هو تقريظ أو مدح. بالإضافة إلى المأساة القديمة؛ الشللية، وهذا في الوقت الذي كثرت فيه الأعمال الإبداعية بنحو لا يطيق متابعته النقاد حتى لو توفروا. ولعلها المرحلة الأسوأ في تاريخ الحركة الإبداعية والنقدية؛ سيل من الكتابات تجري في مفيض الإنترنت، ويشق بعضها مجراه بـ 50 نسخة في دور النشر الحالية، فصار كاتبا لأن له كتابا، فنبتت على هذه الضفاف كتابات نقدية مشابهة. وفي قلب ذلك ما تزال هناك كتابات أصيلة ونقد جيد، كلاهما صامد في عزلته.

الناقد له دور ريادي (لوحة للفنان ساسان نصرانية)

ويلفت الناقد مدحت صفوت إلى أن "الحديث عن الحركة النقدية الراهنة يستدعي بالتبعية الكلام عن دور الناقد، الذي يحصره كثيرون في كتابة المراجعات للإصدارات الأدبية، في حين أراه دورًا ثانويًا يمكن أن يؤديه النقاد أو غيرهم من متابعي الحركة الأدبية، واللافت أنه في الثقافات غير العربية يؤدي الصحافيون وخبراء الكتابة الأدبية دور الكتابة ونشر المراجعات".

ويقول "تكثر الشكوى من عدم متابعة الإصدارات بالكتابة السيارة، وفي الدوريات والصحف العابرة، وهي شكوى مفتعلة وصراخها ليس في محله، فالمراجعات تبدو لي أنها تجري بشكل دوري ودائم في الصحف المتاحة".

ويشير صفوت إلى أن الأزمة الفعلية هي أزمة مقروئية، فكما لا يقرأ الناس الأعمال الأدبية، لا تُقرأ أيضًا الكتابات النقدية والفكرية. العلّة تكمن في عدم القراءة والمتابعة الجادة. ودعني أشر إلى أن الكُتاب والنقاد على حد السواء لا يتابعون الإصدارات النقدية ولا يطيقون قراءتها، نعم، منذ 3 سنوات مثلًا أصدرت وزارة الثقافة ما يزيد عن 30 كتابًا نقديًا خلال العام، لم تلق أي اهتمامًا في المتابعة أو القراءة. نعم هناك أزمة في الكتابة النقدية، سطحية ومدرسية في أغلبها، لكن هذه الأزمة جزء من الأزمة التي نعيشها على مستويات عدة.

في تصور الناقد والقاص أسامة جاد أنه لا يمكن الحديث عن المشهد النقدي في الحركة الثقافية في مصر الآن دون مراجعات للمشهد الثقافي المصري من جهة، ولتراكمات الحركة النقدية المعاصرة في مصر.

ويقول جاد "لعل أهم المؤشرات التي يمكن العودة إليها في هذا الصدد موقع النقد في الخطط الثقافية المتنوعة التي تبنتها مصر، منفردة، أو بالاشتراك مع جهات ثقافية متنوعة مصرية وعربية وأفريقية وعالمية؛ فلعدة عقود لم يكن النقد ولا الحركة النقدية في مصر من العناصر الثقافية التي تلقى عناية واهتماما في الخطط الثقافية المرحلية بتفاصيلها المتنوعة".

ويرى جاد أن نظرة فاحصة للدراسات النقدية "الآن" في مصر لربما تكشف عن الكثير من الاجتهاد التنظيري والتأصيلي للنظريات المتنوعة، ترجمة وبحثا. غير أن البحث عن تجليات تلك النظريات عند التطبيقات المتنوعة قد تخلو من الجدية العلمية، ومن الاستفادة الحقيقية من الجهاز النقدي الكامل، الذي ينبغي له، في رأيه، أن يستفيد من كافة نظريات النقد، في الأسلوب، وفي البنية، وفي السيمياء وعلم الدلالة، وفي الفلسفة، وفي التاريخ النصوصي، وفي فقه اللغة، وفي علم الجمال وغيرها.

النقد والفراغ

يرى الدكتور ياسر ثابت أن الثقافة المصرية تمر بلحظة إحباط واضحة؛ أو قل إنها لحظة الارتطام بحائط الواقع، وسبب تلك الأزمة هو أن الأمل كان معقودا على صحوة ثقافية ما أو نقطة بداية جديدة بعد ثورتين، تشمل النقد والفن والأدب والسينما والمسرح، مع زوال زمن مثقفي السراديب الخفية وصُناع الكلام الكبير لخلق الوهم الكبير.

ويؤكد ثابت أنه "في غياب النقد الجيد والجاد يُستباح الإبداع، ويُسوَّق البعض الرداءة. هكذا طفا على سطح المشهد الثقافي عددٌ من الدخلاء، أولهم الأكاديميون الذين يتصورون أن معرفة مُدرس الشعر بقواعد العروض تكفي لنظم قصيدة، ثم المترجمون الذين عزّ عليهم الاكتفاء بشرف الترجمة فأمطرونا بأعمال تبدو وكأنها تنتمي إلى عوالم المستشرقين، وكذلك العاملون في مجال الإعلام، الذين تفتح لهم شهرتهم في الصحف والفضائيات أبواب دور النشر وقلوب وجيوب المراهقين الباحثين عن نجم".

ويوضح الروائي محمد صالح البحر أن المتأمل في المشهد النقدي الآن لن يبذل الكثير من الجهد ليشهد بأزمته الطاحنة، فالمشهد النقدي ليس بعيدا عن المشهد العام للسياق الثقافي المأزوم، إن لم يكن في القلب منه.

ويضيف "لن أكون مبالغا إن قلت إن أزمة الثقافة الحقيقية في مصر سببها انحراف النقد عن أداء مهمته الأساسية في إنارة الطريق، والتوجيه، ورسم السياسات التي من شأنها أن تخلق إطارا كليا لمفهوم الثقافة المصرية، يشير إلى هويتها، ويُحدد مجرى سياقاتها، ويُنبئ بآفاقها المستقبلية، لكننا فقدنا كل ذلك بسبب تقاعس الحركة النقدية، وتخليها عن دورها، وتهافت النقاد إلى مناصب السلطة، أو الوجود قريبا منها، ومن التكتلات الثقافية الخاصة الكبرى التي تمنح الجوائز، وتقيم المؤتمرات، وتنشر الكتب الفاخرة، وتهب صكوك التواجد، وتشارك المؤسسات الحكومية بدأب واتساق في إدارة الشأن الثقافي الآن".

ويؤكد أن النقد تسبب في وجود الأزمة، ثم صار جزءا منها يستميت في البحث لنفسه عن حل، ينقذه من دوامة الركود والسطحية التي انهار إليها، الركود الذي صنعه اختفاء النقاد الكبار مع مرور الزمن وأصحاب القضايا الكبرى، والرؤى النافذة، دون أن يخلفوا وراءهم منْ يقدر على حمل الراية، حتى صارت معظم الجامعات –التي من شأنها أن تربي النقاد، وتدفع بهم إلى الحياة العامة كلها– مرتعا للوساطة، والتبعية، والمصالح المتبادلة، والتوريث العائلي أيضا، ثم جاءت السطحية لتطغى على المشهد النقدي كله، كنتيجة طبيعية للركود والتهافت، فقد نشأ الفراغ وكان لا بد من ملئه، هكذا ظهر ما يمكن أن نطلق عليه "النقد الصّحفي".

ويلفت القاص السيد شليل إلى أن الجميع يعاني من قصور الحركة النقدية ومتابعة المشهد الإبداعي، ويقول "ليس خافيا على أحد أن هناك عدة أنواع من النقد وكنت قد قمت بتصنيفها وكتبت على صفحتي في موقع التواصل الاجتماعي أن هناك نقادا أكاديميين يتعاملون بقواعد وأسس قديمة، ويتناولون أعمالا قديمة ويجبرون طلابهم على التعامل معها بالدراسة سواء كان ذلك في الماجستير أو في الدكتوراه، ولا يلتفتون للأجيال الجديدة".

كارثة يمكن تجاوزها

لشعر الزجل في الريف السوري مريدوه

دمشق – ينتمي الزجل إلى عالم فنون الشعر الشعبي، فهو يستخدم اللهجة المحكية ويوظفها للحديث عن تفاصيل حياة الناس وهمومهم وتطلعاتهم عبر مفردات ومعان تنتمي إلى التراث.

وينتشر الزجل بشكل كبير في الريف السوري؛ ومن بين ذلك ريف حمص حيث لا يزال يحظى، رغم تطور الحياة ودخول الحداثة إلى مختلف تفاصيل الناس، بشعبية وقدرة على استقطاب الجمهور، وفق ما أكده الشاعر ومدرس اللغة العربية إياد خزعل، لأن الأغاني والمواويل التي يكتبها شعراء الزجل تستجيب للنفس وتخاطب حسها الجمالي وتذكّرهم بتراثهم الجميل.

ويرى خزعل أن الزجل نوع عال من أنواع الشعر مهما حاول متعصبو الفصحى أن يقللوا من شأنه، مشيراً إلى أن حمص كانت أحد معاقله المهمة فظهر منها العديد من الشعراء في الماضي والحاضر، من أبرزهم الراحل أنطون يعقوب والدكتور المغترب إياد قحوش وكرم منصور وحسان البسطاطي وعصام جنيد.

ويعدد خزعل أنواعاً عديدة من الزجل مثل "المعنى، القرادي، القصيد، المستحيلات، المجزم، المخمس المردود، الدلعونا، العتابا، الميجانا، الهوارة، الحداء، والشروقي"، مبيناً أن المعنى هو أحد أهم أنواع الزجل نظراً إلى شيوعه في مباريات التحدي بين الشعراء، ولقدمه فأصله سرياني ومعناه الأغنية ومن أنواعه "العادي والقصيد والموشح والمجنس".

بينما ترى الشاعرة هبة أحمد أن الزجل، كما الشعر الفصيح، له أسلوبه وقواعده وضوابطه الخاصة في التعبير عن مكنونات الشاعر وكل ما يخطر على البال، مبينة أنه ليس بمقدور أي كان كتابة هذا الشعر الذي يجب أن يكون من السهل الممتنع ويتميز بالبساطة والعفوية والذكاء والإطراب.

وتعتبر أحمد أن شاعر الزجل يجب أن يتمتع بشخصية متفردة وقوية تتسم بالجرأة والثقة والحضور اللافت إضافة إلى الصوت الجميل وطلاقة اللسان وسلاسة لفظ الحروف ومخارجها بأسلوب صحيح ومنمق ومفهوم، فضلا عن حس الفكاهة وروح التحدي عند الارتجال التي تتجلى بشكل خاص في المناظرات الشعرية التي تصاحبها الموسيقى والغناء، مؤكدة أن الزجل هو الأقرب إلى التداول والمشاركة وهذا ما يضمن استمراريته.

> **ليس بمقدور أي كان كتابة شعر الزجل فهو من السهل الممتنع ويتميز بالبساطة والعفوية والذكاء والإطراب**

وقد حظي شعر الزجل بمكانة متميزة لدى أبناء الريف السوري ليتخطى كونه فنا أو هواية إلى دخوله في صميم الحياة اليومية، متغلغلا في أدق تفاصيلها، راويا تراثا وتقاليد وعادات ويوميات اجتماعية بقوالب شعرية غنائية.

ويرى أبناء الريف السوري أن الزجل نشأ بين ظهرانيهم مفندين كل النظريات الأخرى التي تنسبه إلى بيئات ومواطن أخرى، ويقدمون الدليل تلو الدليل مستعينين بالشواهد التاريخية على أن هذا الفن هو صناعة ريفية سورية بامتياز تلقاه الآخرون فيما بعد مطورين ومغيرين.

ويشير الباحث التاريخي أسامة حسون إلى أن نشأة شعر الزجل كانت بالأساس في منطقة القلمون بريف دمشق، مؤكدا على أن انتشار لغة الضاد بين سكان بلاد الشام أوجد اختلاطا بين اللغتين الآرامية والعربية ما أدى لاحقا إلى تعريب الشعر الديني وتأثره بالشعر العربي خاصة في موضوع القافية.

مفكرون ومؤرخون وفنانون يتضامنون مع لبنان من باريس

باريس – أعدّ كلّ من معهد العالم العربي في باريس وإذاعة "فرانس كولتور" الفرنسية مجموعة برامج خاصة عن لبنان، يشارك فيها خلال نهاية الأسبوع الجاري عدد من المفكرين والمؤرخين والفنانين بعد نحو شهرين من انفجار مرفأ بيروت المروّع.

وأوضح بيان مشترك للإذاعة والمعهد أن الـ"ويك أند" اللبناني، عبر "فرانس كولتور"، يبدأ في السادسة من مساء الجمعة ويمتد إلى نهاية نهار الأحد، ويتضمن برامج ونقاشات ومقابلات وأفلاماً وثائقية تتناول الوضع اللبناني، بعد مرور شهرين على الكارثة التي أدت إلى مقتل أكثر من 190 شخصاً وإصابة نحو 6500 بجروح وتشريد 300 ألف مواطن.

بموازاة ذلك، ينظم معهد العالم العربي في 25 و26 سبتمبر الجاري أمسيتين في مقره بالعاصمة الفرنسية تهدفان إلى تحريك الرأي العام الفرنسي والعالمي، ويشارك فيهما على مدى يومين "أكثر من 60 فناناً ومثقفاً وناشطاً من الصف الأول".

وأشار البيان إلى أن هذا النشاط يهدف إلى "الردّ بواسطة الجمال والكلمة والأفكار على المآسي التي يواجهها الشعب اللبناني بشجاعة"، وسيخصص ريع هذه النشاطات لدعم منظمات لبنانية. وسبق هذا النشاط مؤتمر عقد الخميس 24 سبتمبر في المعهد، بعنوان "لبنان اليوم بين المواطنة والتقاسم"، أقيم بالتزامن عبر الفيديو مع المعهد الفرنسي في بيروت.

وقالت مديرة "فرانس كولتور" ساندرين تريينر إن هذه العملية تهدف إلى تفادي "سقوط المأساة التي تعرّض لها لبنان في ما يشبه الحفرة المظلمة"، وتجنّب نسيانها بسبب أحداث وتطورات أخرى.

> **هذا النشاط يهدف إلى الردّ بواسطة الجمال والكلمة والأفكار على المآسي التي يواجهها الشعب اللبناني بشجاعة**

وأضافت أن "الكلمة ستعطى خلال هذا النشاط للمفكرين والباحثين المنتمين إلى ضفتي البحر الأبيض المتوسط"، وشددت على أن البرامج المقررة ستشكل مساحة لفهم الأزمة التي يشهدها لبنان.

علي عطا
ما ينشر من أدب لا يجد ما يوازيه قراءة في مستواها العام أو المتخصص

ياسر ثابت
في غياب النقد الجيد والجاد يُستباح الإبداع، ويُسوَّق البعض الرداءة

محمد صالح البحر
النقد تسبب في وجود الأزمة، ثم صار جزءا منها يبحث لنفسه عن حل

مدحت صفوت
كتابة مراجعات للإصدارات الأدبية دور ثانوي بالنسبة إلى الناقد

ناصر الحلواني
جوهر النقد بيان الجيد والرديء وإظهار السمات الجمالية والفنية العامة